تفسير القرآن الكريم

سورة آل‌عمران ٧-٨-١٤٠٤ ٢٧

دراسات الأستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

سورة آل‌عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل‌عمران

الم(١)

سورة آل‌عمران

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ(٢)

سورة آل‌عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنزَلَ التَّوْرَئةَ وَ الْانجِيلَ(٣)

مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ أَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِايَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ(٤)

سورة آل‌عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يخَفَى عَلَيْهِ شىَءٌ فىِ الْأَرْضِ وَ لَا فىِ السَّمَاءِ(۵)

سورة آل‌عمران

هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٦)

هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كلُ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ(٧)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَ هَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنتَ الْوَهَّابُ(٨)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٩)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْا وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ(١٠)

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِايَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(١١)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْا
وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ(١٠)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

- قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً،
- أغنى عنه ماله من فلان أى أعطاه الغنى و رفع حاجته فلا حاجة به إليه،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٨٩

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

- و الإنسان فی بادیَ تکونهَ و شعوره یری نفسه محتاجهٔ إلی الخارج منه، و هذا أول علمه الفطری إلی احتیاجه إلی الصانع المدبر ثم إنه لما توسط فی الأسباب و أحس بحوائجه بدأ بإحساس الحاجهٔ إلی کماله البدنی النباتی و هو الغذاء و الولد،

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۸۹

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

- ثم عرفت له نفسه سَائر الكمالات الحيوانية، و هى التى يزينوا له الخيال من زخارف الدنيا من زينة الملبس و المسكن و المنكح و غير ذلک، و عندئذ يتبدل طلب الغذاء إلى طلب المال الذى يظنه مفتاحا لحل جميع مشكلات الحيوة لأن العادة الغالبة تجرى على ذلک فيظن أن سعادة حيوته فى المال و الولد بعد ما كان يظن أن ضامن سعادته هو الغذاء و الولد،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٠

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

- ثم انكباب نفسه عَلَى مَشتهياته، و قصر همه على الأسباب يوجب أن يقف قلبه عند الأسباب، و يعطى لها الاستقلال، و حينئذ ينسى ربه، و يتشبث بذيل المال و الولد، و فى هذا الجهل هلاكه فإنه يستر به آيات ربه و يكفر بها، و قد التبس عليه الأمر فإن ربه هو الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا يستغنى عنه شىء بحال و لا يغنى عنه شىء بحال.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٠

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

- و بهذا البيان يظهر وَجه تقَديم الأموال على الأولاد فى الآيهٔ فإن الركون إلى المال- و قد عرفت أن الأصل فيه الغذاء- أقدم عند الإنسان من الركون إلى الأولاد و أعرف منه و إن كان حب الولد ربما غلب عند الإنسان على حب المال.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

- و فی الآیة إیجاز شَبیه دَفع الدخل، و التقدیر: إن الذین کفروا کذبوا بآیاتنا و زعموا أن أموالهم و أولادهم تغنیهم من الله، و قد أخطئوا فلا غنی من الله سبحانه فی وقت و لا فی شیء، علی ما تدل علیه الآیة التالیة.

سورة آل‌عمران

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِايَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(١١)

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ

- الدأب: العادة، يقال دَأَب يدأب دأباً و دئاباً إذا اعتاد الشيء و تمرن عليه.
- و معنى قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ» كعادتهم فى التكذيب بالحق و قيل فى الكفر و قيل فى قبح الفعل و قيل فى تكذيب الرسل و كل ذلک متقارب فى المعنى. و قال قوم: معناه كدأب آل فرعون فى عقاب اللّه إياهم على ما سلف من ذنوبهم، و معاصيهم، و الكاف فى قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ» متصلة بمحذوف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۰۴

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ

- و تقديره عادتهم كدأب آل فرعون. و موضع الكاف رفع لأنها فى موضع خبر الابتداء، و لا يجوز أن يعمل فيها كفروا، لأن صلة الذى قد انقطعت بالخبر، و هو «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ» و لا أولادهم و لكن يجوز نصبه ب «وَقُودُ النَّارِ»، لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسادهم كما تتقد بأجسام آل فرعون فهذا تقديره فى المعنى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۰۴

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

- و قوله: «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» بمعنى عاقبهم اللَّه بذنوبهم و سمى المعاقبةَ مؤاخَذَةً لأنها أخذ بالذنب و الأخذ بالذنب عقوبة و الذنب و الجرم واحد تقول أذنب يذنب اذناباً فهو مذنب و الذنب التلو للشيء ذنبه يذنبه ذنباً إذا تلا و الذنوب التلو لأنها تالية للحبل فى الجذب و الذنوب النصيب لأنه كالدلو فى الانعام

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۰۵

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

- و الذنوب: الفرس الوافر شعر الذنب. و أصل الباب: التلو، فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما قيل العقاب، لأنه يستحق عقيب الذنب.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۰۵

وَ أُولئکَ هُمْ وَقُودُ النَّار

- قوله تعالی: وَ أُولئکَ هُمْ وَقُودُ النَّار، الوقود بفتح الواو ما توقد به النار وَ تشتعل، و الآیة جاریة مجری قوله تعالی: «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتی وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحجارَةُ»: البقرة- ۲۴، و قوله تعالی: «إِنَّکُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه حَصَبُ جَهَنَّمَ»: الأنبیاء- ۹۸، و قد مر بعض الکلام فی معنی ذلک فی سورة البقرة.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۹۰

وَ أُولئِکَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ

- و الإتيان بالجملة الاسمية، و الابتداء باسم الإشارة، و كونه دالا على البعد و توسيط ضمير الفصل، و إضافة الوقود إلى النار دون أن يقال وقود، كل ذلک يؤكد ظهور الكلام فى الحصر، و لازمه كون المكذبين من الكفار هم الأصل فى عذاب النار و إيقاد جهنم، و أن غيرهم إنما يحترقون بنارهم، و يتأيد بذلک ما سيأتى بيانه فى قوله تعالى: «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ و يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ» الآية: الأنفال- ٣٧.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٠

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

- قوله تعالى: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ إلى آخر الآية: الدأب على ما ذكروه هو السير المستمر قال تعالى: «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ»: إبراهيم- ٣٣
- و منه تسمية العادة دأبا لأنه سير مستمر، و هذا المعنى هو المراد فى الآية.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٠

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

- و قوله: كَدَأْبِ، متعلق بمقدر يدل عليه قوله فى الآية السابقة: لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ، و يفسر الدأب قوله: كَذَّبُوا بآياتنا و هو فَى موضع الحال، و تقدير الكلام كما مرت إَليه الإشارة: إن الذين كفروا كذبوا بآياتنا و استمروا عليها دائبين فزعموا أن فى أموالهم و أولادهم غنى لهم من الله كدأب آل فرعون و من قبلهم و قد كذبوا بآياتنا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩١

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

- و قوله: فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، ظاهر الباء أنها تفيد السببية، يقال: أخذته بذنبه أى بسبب ذنبه لكن مقتضى المحاذاة التي بين الآيتين، و قياسه حال هؤلاء الذين كفروا فى دأبهم على آل فرعون و الذين من قبلهم فى دأبهم أن يكون البناء للآلة، فإنه ذكر فى الذين كفروا أنهم وقود النار تشتعل عليهم أنفسهم و يعذبون بها فكذلک آل فرعون و من قبلهم إنما أخذوا بذنوبهم

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩١

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

- و كان العذاب الذى حل بساحتهم هو عين الذنوب التى أذنبوها، و كان مكرهم هو الحائق بهم، و ظلمهم عائدا إليهم، قال تعالى:وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»: الفاطر- ۴۳، و قال تعالى: «وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»: البقرة- ۵۷.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۱

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

- و من هنا يتبين معنى كونه شديد العقاب، فإن عقابه تعالى لا يقصد الإنسان و لا يتوجه إليه من جهة دون جهة، و فى محل دون محل، و على شرط دون شرط كما أن عقاب غيره كذلک فإن الشر الذى يوجهه إلى الإنسان مثله مثلا إنما يتوجه إليه من بعض الجهات دون بعض كفوق و تحت، و فى بعض الأماكن دون بعض فيدفع بالفرار و التوقى و الالتجاء مثلا

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩١

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

- و هذا بخلاف عقابه تعالى فإنه يأخذ الإنسان بعمله و ذنبه و هو مع الإنسان فى باطنه و ظاهره من غير أن ينفک عنه، و يجعل الإنسان وقودا لنار أحاط به سرداقها، و لا ينفعه فرار و لا قرار، و لا يوجد منه مناص و لا خلاص، فهو شديد العقاب.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۱

كَذَّبُوا بِآياتنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

- و فی قوله تعالی: كَذَّبُوا بِآياتنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ، التفات من الغيبة إلى الحضور أولا ثم من الحضور إلى الغيبة ثانيا، أما قوله: كَذَّبُوا بِآياتنا ففيه تنشيط لذهن السامع و تقريب للخبر إلَى الصدق فإنه بمنزلة أن يقول القائل: إن فلانا بذی فحاش سيئ المحاضرة و قد ابتليت به فيجب الاجتناب عن معاشرته، فجملة و قد ابتليت به تصحيح للخبر و إثبات لصدقه بإرجاعه إلى الدراية و نحو من الشهادة.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۱

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

- فالمعنى- و الله أعلم- أن آل فرعون كانوا دائبين على دأب هؤلاء الذين كفروا فى الكفر و تكذيب الآيات، و لا ريب فى هذا الخبر فإنا كنا حاضرين شاهدين و قد كذبوا بآياتنا نحن فأخذناهم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٢

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

- و أما قوله: فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ، فهو رجوع بعد استيفاء المقصود إلى الأصل فى الكلام و هو أسلوب الغيبة، و فيه مع ذلک إرجاع الحكم إلى مقام الألوهية القائمة بجميع شئون العالم و المهيمنة على كل ما دق و جل،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٢

وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقاب

- و لذلک کرر لفظ الجلالة ثانیا فی قوله وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ، و لم یقل و هو شدید العقاب للدلالة علی أَن کفرهمَ و تکذیبهم هذا منازعة و محاربة مع من له جلال الألوهیة و یهون علیه أخذ المذنب بذنبه، و هو شدید العقاب لأنه الله جل اسمه.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۹۲